## مقامات أهل البيت (ع) في مصر..

# الحب والتعظيم

استطلاع: علي عبد الغفار وهدى كوراني

ترى.. أي أرض حضنت ذلك الرأس الشريف؟ وأي ثرى تشرّف بالفوز به؟
وفي أي بلاد دفنت بطلة كربلاء.. عقيلة بني هاشم.. السيدة زينب (ع)؟
لقد طيف برأس الإمام الحسين (ع) من بلد إلى آخر، وسيقت نساؤه سبايا، شماتة بآل الرسول (ص).. فانقلب السحر على الساحر.. فأينما حلّوا ارتفع مشهد أو مقام، تعظيماً لذكرى هذا الإمام العظيم، وتخليداً لثورته على مرّ العصور.. وأما السيدة زينب بنت أمير المؤمنين (ع)، فالقلوب المؤمنة تهوي إلى زيارتها تقرّباً لله تعالى، وحباً لآل النبي (ص)، أكان ذلك في الشام، أو في مصر، أو حتى من خلف الأسياج في المدينة المنورة.

ومهما يكن من تعدّد الروايات واختلاف المؤرخين حول مدفن رأس الإمام الحسين (ع) ومدفن أخته السيدة زينت (ع)، فإن لآل الرسول (ص) كرامة عند الله تعالى، تجلّت في قلوب المؤمنين وتعظيمهم لهم، حتى ارتفعت المقامات والمزارات في كل مكان حلّ به الرأس الشريف، وفي البلد المعتقد أن فيه كان دفن السيدة زينب (ع) أو بنات الإمام الحسين (ع) اللواتي رافقنه في كربلاء، أو أحد من ذرية آل البيت (ع).

في هذا الاستطلاع نجول ونتعرف على عدد من مقامات أهل البيت (ع)، لا سيما على مقام رأس الإمام الحسين (ع) وأخته زينب (ع) في مصر، كنانة الله في أرضه؛ مبتدئين بلمحة تاريخية سريعة عن تاريخ مصر الإسلامية.

### مصر الإسلامية

بعد حروب قصيرة، استطاع عمرو بن العاص افتتاح مصر في سنة ٢٢هـ زمن الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب.

وكانت الحكومة البيزنطية قد بعثت بالمقوقس إلى مصر ليفاوض عمراً، فتمّ الاتفاق بين الفريقين على أن يعطي البيزنطيون جزية سنوية معينة، وعلى أن يترك

المسلمون للمسيحيين معابدهم، وأن لا يتدخلوا في إدارة شؤونهم الاجتماعية، وعلى هذا الأساس أخلى البيزنطيون الإسكندرية في ١٧ أيلول ٦٤٣م، فدخلها المسلمون. ثم أنشأ عمرو بن العاص المسجد الذي لا يزال يحمل اسمه في الفسطاط ــ الذي أصبحت فيما بعد القاهرة القديمة ــ فكان هذا إيذاناً مبدئياً بانتشار الإسلام في وادي النيل.

وبقي الولاة المسلمون يحكمون مصر في العهد الراشدي، ففي ولاية الإمام علي (ع)، على سبيل المثال، تولاها قيس بن سعد، ثم محمد بن أبي بكر، أما مالك الأشتر الذي أرسله الإمام (ع) ليتولى إمرة مصر بعد موت محمد بن أبي بكر، فإنه اغتيل بإيعاز من معاوية على حدودها، ولم يتسن له دخولها.

وظلت مصر ضمن (الخلافة الإسلامية) في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين (٦٤٦ــ٩٤٨م) وفي العهد الفاطمي، أرسل الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله قائده جوهر لدخول مصر في ٥ شباط ٩٦٩م، فاستطاع هذا القائد أن يهزم الجيوش المصرية التي كانت تحت إمرة أبي الفوارس (حفيد ابن طغج). وفي مطلع تموز، دخل مصر ظافراً وبنى عاصمة دعاها المنصورية، حتى إذا دخل المعز لدين الله البلاد بعد أربع سنوات، خلع عليها اسم القاهرة المعزية، أي مدينة المعز التي تقهر المدن.

وفي ظل الفاطميين الذين دام حكمهم نحواً من مائتين وخمس سنوات، نعمت مصر بعهود متطاولة من الرخاء العظيم، بفضل الإدارة الجيدة والحرية الدينية والمذهبية التي نعم بها العلماء والأدباء.

إن آثارهم العمرانية العظيمة، من مثل جامع الحاكم، والجامع الأزهر، نسبة إلى فاطمة الزهراء (ع) الذي لا يزال قائماً ومزدهراً إلى يومنا، كإحدى المؤسسات العلمية الكبرى في بلاد الإسلام، لتشهد للهمم العالية التي عرفوا بها.

وقد اهتم الفاطميون أيضاً ببناء مشاهد أهل البيت (ع) في مصر، من قبيل المشهد الحسيني والمشهد الزينبي وسواهما، واستطاعوا أيضاً إحياء حب أهل البيت (ع) في نفوس المصريين، ذلك الحب الذي بُذرت بذوره في عهد الإمام علي (ع)، فنبتت شجرة شامخة يعتز المصريون بالفيء تحت ظلالها.

بعد الفاطميين، حكم الأيوبيون مصر ووحدوها (١١٧١ــ١٢٣٩م/٥٦٧ــ٦٤٧هــ)، ثم المماليك (١٢٤٩ــ١٥١٧م/٦٥٧ــ٩٢٣هــ)، ثم العثمانيون (١٥١٧ــ١٨٧٩م/٩٢٣ــ١٢٩٧هــ). ومنذ غزوة الفرنسيين لمصر بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م (١٢٩٧هــ) إلى يومنا هذا، عرفت مصر عهوداً من الثورات وفترات تأرجحت بين الهدوء والاضطرابات.

وأضحت مصر تسمى رسمياً (جمهورية مصر العربية) اعتباراً من يوم ١٩٧٠/١١/٩م، وهو يوم توقيع اتفاقية الاتحاد الثلاثي مع ليبيا وسوريا، وكانت سميت قبل ذلك (الجمهورية العربية المتحدة) اعتباراً من ١٩٥٨/٢/١م عندما أعلنت الوحدة مع سوريا.

وفي كل تلك العهود، ظلت المشاهد الشريفة موضع عناية الحكومات التي تعاقبت على مصر، وظل الشعب المصري بفئاته العديدة يتوافدون إلى تلك المشاهد، حباً بآل بيت النبي (ص)، واعتقاداً منهم بشفاعتهم وبركاتهم، واستجابة دعائهم عند حضرتهم.

## مما قيل في دفن الرأس الشريف

اختلف الرواة والمؤرخون حول مدفن رأس الإمام الحسين (ع)، ولهم في ذلك أقوال وروايات متعددة، نذكر منها:

أ. أنه دُفن مع جسده (ع)، حيث ردّه الإمام علي بن الحسين (ع) إلى كربلاء. قال ابن نماء: إنه أعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه. وقال ابن الجوزي في "تذكرة الخواص": أشهر الأقوال أن يزيد ردّه إلى المدينة مع السبايا، ثم رُدّ إلى الجسد بكربلاء، فدفن معه.

ب. يقال انه دُفن عند أبيه أمير المؤمنين (ع) بالنجف الأشرف، إلى جهة رأسه الشريف، استناداً إلى روايات وردت بذلك في "الكافي" و"التهذيب" وغيرهما، عن أئمة أهل البيت (ع)، أو أنه مدفون بظهر الكوفة دون قبر أمير المؤمنين (ع)، رواه الكافي بسنده عن الصادق (ع).

ج. أنه مدفون عند أمّه السيدة فاطمة الزهراء (ع) في المدينة المنورة، بعد أن أرسله يزيد بن معاوية إلى واليه في المدينة عمرو بن سعيد بن العاص.

د. يجمع عدد من المؤرخين أنه مدفون بباب الفراديس في دمشق، حكى ابن أبي الدنيا فقال: وجد رأس الحسين (ع) في خزانة يزيد بدمشق، فكفّنوه ودفنوه بباب الفراديس. وكذا ذكر البلاذري في تاريخه والواقدي أيضاً.

هـ. إنه مدفون بمصر، بعدما نقله الخلفاء الفاطميون من عسقلان بفلسطين إلى الديار المصرية.

## كيفية انتقال الرأس الشريف من عسقلان إلى مصر بحسب بعض المؤرخين

يقول الصبان: "واختلفوا في رأس الحسين بعد مسيره إلى الشام، إلى صار، وفي أي موضع استقر؟ فذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف برأسه الشريف في البلاد، وذلك تشفياً وابتهاجاً بالنصر الذي أحرزه على آل الرسول (ص)! فطيف به

حتى انتهى إلى عسقلان، فدفنه أميرها بها. فلما غلب الإفرنج على عسقلان، افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل، ومشى إلى لقائه من عدة مراحل، ووضعه في كيس حرير أخضر على كرسي من خشب الأبنوس، وفرش تحته المسك والطيب، وبنى عليه مشهده الحسيني المعروف بالقاهرة، قريباً من خان الخليلي".

ويؤيد رواية وجود الرأس بعسقلان وانتقاله إلى مصر جمهور من المؤرخين والرواة، منهم: ابن ميسر، والقلقشندي، وعلي بن أبي بكر المشهور بالسايح الهروي، وابن أياس، وسبط الجوزي.

ويقول المقريزي إن رأس الحسين (ع) نقل من عسقلان إلى القاهرة يوم الأحد في ٨ جمادى الآخرة عام ٥٤٨هـ (الموافق ١١٥٣/٨/٣١م) ووصل إلى القاهرة في العاشرة من الشهر نفسه.

## مكان دفنه في القاهرة

يرى ابن عبد الظاهر أن طلائع بن رزيك بنى جامعاً خارج باب زويلة ليدفن الرأس الشريف به ويفوز بهذا الفخر، فغلبه أهل القصر الفاطمي، وعمدوا إلى هذا المكان الموجود به الآن، وهو بيت الخلافة الفاطمية (قصر الزمرد) في خلافة الفائز الفاطمي سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م).

## وصف المشهد الحسيني بعيون الرحالة والمؤرخين

في عصر الأيوبيين، زار الرحالة ابن جبير مصر في العام ٥٨٧هـ (١١٨٤م) فوصف المشهد الحسيني في القاهرة وصفاً شاملاً ودقيقاً، ومما قاله: "فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة، حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو في تابوت من فضة مدفون تحت الأرض، وقد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض، ومنه ما دون ذلك. قد وضع أكثره في أتوار فضة خالصة، ومنها مذهبة، وعلقت عليه قناديل فضة، وحُفّ أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة، يقيّد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة، البديع الترصيع مما لا يتخيّله المتخيّلون..".

ويقول المقريزي إن صلاح الدين الأيوبي جعل بالمشهد حلقة تدريس وفوضها للفقيه البهاء الدمشقي الذي كان يجلس عند المحراب أمام الضريح، وفي عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، بنى الوزير معين الدين حسين بن حموية إيواناً للتدريس من أوقاف المشهد، وبنى من تلك الأموال أيضاً بيوت الفقهاء العلوية الخاصة، وفي ذلك العصر ـ العصر الأيوبي ـ أنشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري

المعروف بالزرزور منارة على باب المشهد سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦م)، وهي منـــارة مليئة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة.

### الحريق ثم الترميم

في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠هـ تعرّض المشـــهد لحريــق أتى على معظمة، فقام القاضي عبد الرحيم البيساني بترميمه، وألحــق بـــه ســـاقية وميضأة، ووقف عليه أراض خارج المشهد.

### التوسع شيئاً فشيئاً.

في العصر المملوكي سنة ٦٦٢هـ في عهد الملك الظاهر ركن الدين بيـــبرس، اتسع نطاقه وازداد رونقاً وبهاء.

وفي عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٥م) أمر بتوسيع المسجد وذلك ببناء إيوان جديد وبيوت للفقهاء العلوية.

وفي العصر العثماني أمر السلطان سليمان خان بتوسيع المســـجد عندمــا رأى كثافة المصلين والزائرين، وعندما ولي الوالي العثماني محمد باشا الشريف مصـــر من سنة ١٠٠٤هـ (١٥٩٥م) إلى سنة ١٠٠٦هـ (١٥٩٧م)، قام بترميم المشـــهد الحسيني وإصلاح زخارفه.

ثم قام الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفي بتوسيعه بعـــد أن زاد فـــي مســـاحته، وصنع له تابوتاً من أبنوس مطعم بالصدف والعاج. وقام أيضاً الأمير عبد الرحمـــن كتخدا بإصلاحات كثيرة، وعندما قدم السلطان عبد العزيز مصـــر ســـنة ١٢٧٩هـــ (١٨٦٢م)، زار المقام الحسيني الشريف، وأمر الخديوي إسماعيل بعمارته وتشـييده على أحسن نظام وأتم شكل، فاستمر العمل بذلك مدة عشر سنوات وانتهى في العـــام ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م).

وفي العام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) فُتح بجواره شارع السكة الجديدة نظراً لازدحام الناس عليه الذين يسعون إلى زيارة المشهد الشريف، آتين من كل حدب وصوب.

### المشهد الحسيني في العصر الحديث

في الجامع الحسيني منبر خشبي مطلي بطلاء مذهب، وكانت قد أحضـــرت لـــه أعمدة الرخام من القسطنطينية، وثلاثة أبواب مبنية من الرخام الأبيض جهـــة خـــان الخليلي، ومثلها الباب الأخضر الذي بجوار القبة، ويحتوي صحـــن الجـــامع أربعـــة وأربعين عموداً عليها بوائك حاملة للسقف الذي يتكوّن من الخشب المطلي بزخـارف نباتية وهندسية متعددة الألوان ومذهبة، وتلك الزخارف في غاية الدقـــة والإبـــداع،

وفي وسط السقف ثلاث منارات مرتفعة ومسقوفة كذلك. ويوجد ثلاثون شباكاً كبيرة من النحاس المطلي بالذهب في جدران المسجد الأربعة، ويعلوها شبابيك أخرى صغيرة دوائرها من الرخام.

وللمسجد مئذنتان، إحداهما قصيرة وقديمة، وهي التي بناها أبو القاسم بن يحيى ابن ناصر المعروف بالزرزور سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦م) فوق القبة ــ كما أشرنا ــ وقد طوّقتها لجنة حفظ الآثار بحزامين من الحديد للحفاظ عليها. وتقع المئذنة الثانية في نهاية المسجد، وهي مبنية على الطراز العثماني، شبيهة بالمسلة، وهي مرتفعة، وعلى هذه المئذنة لوحان لخط السلطان عبد الحميد خان كتبهما سنة ١٢٦٦هـ بأحدهما الآية التسعون من سورة الأنعام: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾، وفي اللوح الآخر كتب حديثاً للرسول (ص): "أحب أهل بيتي الحسن والحسين".

## قاعة الآثار النبوية

وبشرقي المسجد باب يوصلك إلى قاعة الآثار النبوية التي أنشأها عباس حلمي الثاني سنة ١٣١١هـ (١٨٩٣م) وهي قاعة متسعة الأرجاء مفروشة بالسجاد الإيراني والتركي، وكسيت جدرانها بالرخام (المجزع)، وبها محراب صغير، وسقفها من الخشب المنقوش، ونوافذها من الجص المخرّم والمعشق بالزجاج الملون، وتضاء هذه القاعة بالمصابيح والثريات البلورية النادرة، وفي خزانة الآثار الشريفة ما يُعتقد أنه يعود إلى رسول الله (ص) من بعض ملابسه وحاجاته وفيها مصحفان شريفان بالخط الكوفي منسوبان إلى خط الإمام علي (ع) والخليفة الثالث عثمان بن عفان، وهذه الخزانة عبارة عن فجوة كبيرة في جدار القاعة، وقد كسي سقفها وأرضيتها وجدرانها بالجوخ الأخضر، وفي سطحها لوح من الزجاج لوضع الأمانات فوقه. ولهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعم بالعاج والصدف والأبنوس، وكتب بأعلاه بأحرف من العالم: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾.

وقد كتب على جدران القاعة من الداخل على الرخام البسملة وسورة ﴿ألم نشرح﴾ وكتب أيضاً نص يدل على ما في الخزانة من المحتويات النبوية.

## بعد ثورة يوليو ـ تموز ١٩٥٢م

في ذلك العهد، تمّ تجديد مسجد الإمام الحسين (ع) وزيادة مساحته، وفرشه وإضاءته حتى يتسع للزائرين والمصلين؛ إذ كان المسجد القديم يضيق بهم وخاصة في المواسم والأعياد، فأضحت مساحته ٣٣٤٠م$^2$، بعد أن كانت ١٥٠٠م$^2$، وقد جاءت التوسعة كامتداد طبيعي للمسجد القديم بعد أن روعيت أشكال النوافذ والأبواب

وجنسها من مثيلاتها القديمة، وكذا روعيت أبعاد الأروقة وقطاعات العقود على النسق القديم أيضاً.

وحرصوا أن تكون المباني الجديدة مشابهة للقديمة، ومن الخامات نفسها بقدر الإمكان.

وقد أضيفت مساحة ٣٥م٢ إلى الواجهة الرئيسية للمسجد القديم، لكي تأتي على استقامة واحدة، وبدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩م وتمت سنة ١٩٦٣م، بالإضافة إلى السجاد اليدوي الذي غطى أرض المسجد، والذي صنع خصيصاً للمشهد الشريف، في مدينة المحلة الكبرى.

وقد اهتمت وزارة الأوقاف بإقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة، تليق وصاحب المقام، ولا سيما بعد أن أزيلت كل المباني التي كانت تحجبه عن الميدان الذي خطط خصيصاً من أجله، والذي يحمل اسمه، وطول هذه الواجهة ٤٥ متراً وعرضها ٨ أمتار. وروعي في الواجهة الجديدة أن تكون أقصر من القديمة حتى تظهر شرفات الواجهة القديمة، وهي مكوّنة من خائط تزخرفه سبعة عقود مدببة يرتكز كل منها على عمودين من الرخام. ويحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصية البديعة، ويستعمل ثلاث من هذه العقود كأبواب، أما الأربعة الباقية فهي نوافذ مملوءة بالبرونز المخرم، وكذا النصف العلوي من الأبواب. وتتدلى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم، ويعلو كل منها دائرة من الزخارف الجصية في توازن وتماثل محكم. وأقيمت مئذنة في الطرف الجنوبي الشرقي مماثلة للمئذنة الموجودة في الجهة الجنوبية الغربية ومن الطراز نفسه. كما صنع منبر جديد للمسجد من الخشب العزيزي والزان والجوز التركي، مطعم بالصدف والعام والأبنوس، ورصدت وزارة الأوقاف مبلغ ١٥٠ ألف جنيه لإقامة دورة مياه جديدة.

## القبة

من المرجح أن القبة كلها ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وهي ترتكز على عقود نصف دائرية ومقرنصات في الأركان شبه دائرية، وكل هذه الأجزاء مزخرفة بنقوش زيتية غاية في الدقة، وفوق المحراب نقشت قصيدة بماء الذهب كتبها الخطاط البلخي سنة ١١٨٧هـ (١٧٧٣م) ومطلعها:

ألا أن تقوى الله خير البضائع ومن لازم التقوى فليس بضائع

ومربع القبة من الداخل، كسيت واجهته المطلة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بفسيفساء من الصدف، وكذا كسي محيطها من الداخل بالرخام والصدف في

رسوم هندسية غاية في الدقة والإبداع، أما الأجزاء العليا من مربع القبة، فقد زخرف بنقوش زيتية مذهبة، تشبه تلك النقوش التي نقشت على القبة نفسها، وكلها ترجع إلى القرن الثاني عشر للهجرة، ثم جددت هذه النقوش سنة ١٣١٦هـ (١٨١٨م).

### وفود المصريين إلى مسجد الإمام الحسين (ع).

في كل وقت ترى كثافة المصلين والزائرين في مسجد الإمام الحسين (ع) القريب من الجامع الأزهر، الذي بناه الفاطميون وسموه الأزهر نسبة إلى الزهراء فاطمة بنت الرسول (ص). وتزداد أعدادهم في الأعياد والمناسبات الدينية، ولأهل البيت (ع) في قلوب المصريين محبة وتعظيم، ويتجلى ذلك في أدعيتهم وتوسلاتهم في المقام الحسيني، وفي حسن اعتقادهم باستجابة الدعاء في حضرته (ع)، وما كثرة النذورات، والحرص على التوسل به (ع) لقضاء الحوائج، إلا دلالة على ما للإمام الحسين (ع) من مقام في نفوسهم.

وفي المناسبات الدينية، تقام الولائم في حضرته حباً بالإمام (ع) وبآل البيت (ع)؛ وتحاول بعض الفرق الدينية اليوم منع المصريين من إجراء المراسيم والتقاليد التي أحيوها منذ مئات السنين في المشهد الحسيني، وهذا يزعج المصريين لأنهم لا يرون في ما يقومون به شركاً بالله أو بدعاً ابتدعوها بحسب تلك الفرق، وهذا الأمر دفع ببعض المثقفين أن يحتجوا على المنع والتحريض ضد إقامة تلك الشعائر والتقاليد من على منبر الصحافة المكتوبة.

أما الحي الذي يقع فيه المشهد، فلا عجب أن يحمل اسمه، وأن تحمل كثير من المحلات التجارية هناك اسمه أيضاً تبرّكاً به، ولا عجب أن ترى الوفود من شتى القرى والمدن المصرية تهفو لزيارته محمّلين سلام الأهل والأحبة الذين لم يكن بمقدورهم زيارته (ع).

### مقام السيدة زينب (ع)

في الميدان الذي يعرف باسمها (ع) يقع جامع السيدة زينب بنت أمير المؤمنين (ع)، إذ يصرّ المصريون على أنها دفنت في ديارهم، ويؤيدهم في ذلك عدد من المؤرخين، في حين يعارضهم آخرون، ولا بأس هنا بإيراد بعض من تلك الآراء:

أ. يرجح عدد من الرواة والمحدثين أن السيدة زينب (ع) دفنت في المدينة المنورة، ومحل قبرها بالبقيع مجهول.

ب. منهم من يقول إنها دُفنت في الشام، حين ذهبت إليها إثر مجاعة حلّت بالمدينة المنورة، حيث كان لزوجها عبد الله بن جعفر قرى ومزارع في نواحي الشام. ومقامها هناك معروف يقصده المؤمنون من كل مكان.

ج. ومنهم من يقول إنها رحلت إلى مصر، بعدما طلب يزيد بن معاوية منها الرحيل من المدينة، لأنها لم تهدأ، وكانت كلماتها ومواقفها امتداداً لثورة الإمام الحسين (ع)، على المستويين الإعلامي والشعبي.

### على قول إنها (ع) دفنت في مصر

ما إن انتهت واقعة كربلاء باستشهاد الإمام الحسين (ع)، حتى بدأت مرحلة ثانية للثورة تكفل بإنجاحها الإمام زين العابدين (ع) وعمّته السيدة زينب (ع)، التي ما هدأت لها عين، ولا سكنت لها رنة. فقد كان وجودها في المدينة المنورة كافياً لإلهاب مشاعر الناس للأخذ بثأر الإمام الحسين (ع)، والانتقام من الظالمين، فطلب والي يزيد في المدينة منها الخروج، فاختارت مصر داراً لإقامتها لما سمعت عن أهلها من محبتهم لآل البيت (ع)، ولولائهم ومودتهم لذوي القربى، ولما سمعته مما حدثت به أم سلمة عن رسول الله (ص) أنه أوصى بأهل مصر، فقال (ص): "إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض تسمى القيراط، فإذا فتحتموها أحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً".

وفي خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، استطاع هذا الإمام العظيم عبر ولاته في مصر أن يزرع محبة آل البيت (ع) في قلوب المصريين، لما عرف عنه من إقامة العدل وإحقاق الحق.

### وصولها (ع) إلى مصر

رحلت السيدة زينب (ع) من المدينة المنورة إلى مصر، وفي معيتها بعض أهل البيت (ع)، وحين وصل النبأ بقرب وصولها، خرج لاستقبالها والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري، ومعه جماعة من أصحابة ورهط كبير من أعيان مصر وتجارها ووجهائها وأعيانها، وذلك عند قرية شرقي بلبيس عرفت فيما بعد باسم "العباسة" أيام الطولونيين، وعندما وصل الركب، عزّاها مسلم وبكى، فبكت، وبكى الحاضرون، وقالت: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾. وكان ذلك في شعبان سنة ٦١هـ الموافق ٢٦ نيسان سنة ٦٨١م، وكان قد مضى على استشهاد الإمام الحسين (ع) ستة أشهر وأيام.

وقد أنزلها مسلمة في داره بالحمراء القصوى عند قنطرة السباع، أي في المكان الذي يقوم فيه ضريحها الآن. وأقامت في هذه الدار أحد عشر شهراً، وكانت فيها كعبة للزائرين والقاصدين حتى توفيت عشية الأحد في الرابع عشر من رجب سنة ٦٢هـ الموافق ٢٧ آذار سنة ٦٨٢م، ودفنت هناك، هذا على قول الروايات التي تؤكد رحيلها إلى مصر.

## المشهد الزينبي

مع مرور السنين اندثر قصر مسلمة بن مخلد، وبقي ضريح السيدة زينب (ع) يحجّ إليه المؤمنون ويتبركون بأنوار آل النبي (ص)، وفي زمن ابن طولون أجري على الضريح عمارة وترميم ضمن نطاق خطة شملت المشاهد الأخرى في مصر.

فلما جاء الفاطميون، كان أول من بنى على الضريح عمارة جليلة هو الخليفة المعزّ الفاطمي، ثم أوقف عليه الخليفة الحاكم بأمر الله عدة ضياع.

وظل المشهد الزينبي موضع عناية العهود التي تعاقبت على مصر بعد الفاطميين، مثل الأيوبيين والمماليك. كما قام الكثير من أهل الإيمان والعلم بتناوب الخدمة على هذا المسجد، منهم على سبيل المثال: محمد بن أبي المجد القرشي الحسيني المعروف بسيدي (محمد العتريسي) المدفون بالجهة الشمالية الغربية من المشهد الزينبي.

وفي القرن السادس الهجري، أيام الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، عمّر المسجد وأصلحه الشريف فخر الدين ثعلب الجعفري.

وظل المشهد على هذه العمارة إلى أن جدّده الأمير علي باشا، والي مصر من قبل العثمانيين، وجعل له مسجداً يتصل به، وكان ذلك في سنة ٩٥٤هـ (١٥٤٧م).

ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٠هـ (١٧٦٨م) وأنشأ به ساقية وحوضاً للطهارة.

وفي عام ١٢١٠هـ (١٧٩٥م) جدّدت المقصورة من النحاس الأصفر، ووضعت على بابها لوحة نحاسية كتب عليها: "يا سيدة زينب، يا بنت فاطمة الزهراء، مددك"، وما زالت هذه اللوحة على الضريح إلى الآن.

وبعد ذلك بسنتين تصدعت جدران المسجد، فانتدبت حكومة المماليك عثمان بك المرادي لتجديده وإعادة بنائه، فبدأ العمل، لكنه توقف بسبب الحملة الفرنسية على مصر.. ثم أكمل البناء يوسف باشا الوزير.

وقد ظل التجديد والتعمير يشملان هذا المكان الشريف بعد ذلك، فجدّد في سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م)، وقد كتب على باب المقام الزينبي هذا البيت من الشعر:

يا زائريها قفوا بالباب وابتهلوا     بنت الرسول لهذا القطر مصباح

وفي سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) جدّد الباب المقابل لباب الضريح، ثم جُدّد المسجد والقبة والمئذنة، وتم ذلك في سنة ١٣٠٢هـ (١٨٤٨٤م)، حتى بلغت مساحة المشهد الزينبي ٣٠٠٠م² في بداية القرن العشرين.

## من قنطرة السباع إلى ميدان السيدة زينب (ع)

كان ميدان السيدة زينب (ع) الحالي يعرف قبل ذلك باسم قنطرة السباع نسبة إلى نقش السباع الموجودة على القنطرة، التي كانت مقامة على الخليج الذي كان يخرج من النيل وينتهي عند السويس. وكانت السباع شارة الظاهر بيبرس الذي أقام القنطرة. وعندما تم ردم الجزء الأوسط من الخليج سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٨م) اختفت القناطر، ومع الردم تم توسيع الميدان، واكتشفت واجهة جامع السيدة زينب (ع) الذي كان قد جدّده الوالي العثماني علي باشا سنة ٩٥٤هـ (١٥٤٧م) وأعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) كما سبقت الإشارة، ومنذ ذلك الحين أصبح يطلق على الميدان بل والحي كله اسم عقيلة بني هاشم.

## المسجد الزينبي في العصر الحديث

في سنة ١٩٤٠م أقامت وزارة الأوقاف المسجد الزينبي، وهو يتكون من سبعة أروقة موازية للقبلة، يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة، ويقابل القبلة قبة الضريح، ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بهما مدخلان رئيسان يفصل بينهما مستطيل، وأضافت وزارة الأوقاف مساحة تبلغ ١٧×٣٢ إلى المسجد الأصلي، وفي سنة ١٩٦٩م أضافت هذه الوزارة مساحة ثانية مماثلة تماماً للمسجد الأصلي وبمقدار مساحته، بحيث أصبحت الإضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلي والتوسعة الأخيرة، لذلك فقد عمل في منتصف التجديد الأول محراب يتوسط المسجد الجديد، مع الإبقاء على المحراب القديم، ويقابل ضريح السيدة زينب (ع) في التجديد الثاني رحبة مماثلة للصحن، وفي الواجهة الغربية يوجد مدخلان أحدهما يتوسط التجديد الأول والثاني التجديد الأخير.

وها هم المؤمنون والزائرون يتوافدون ليل نهار إلى مقام السيدة زينب (ع)، فمحبة المصريين لأهل بيت الرسول (ص) ظاهرة للعيان، وقد قال الشاعر:

فمصر توالي أهل بيت نبيّنا — تكنّ لهم ودّاً وحسن صلات
وكم أحرزت نصراً بهم في حروبها — وكم سحقت من معتدين بغاة

فتلك الابتهالات والتوسلات في مقامها الشريف، دلالة على تلك المحبة الصادقة واليقين بشفاعتهم.

وما رواية "قنديل أم هاشم" للروائي يحيى حقي إلا دلالة أيضاً على موقع السيدة زينب (ع) في نفوس المصريين.

## إلى مقام السيدة نفيسة (رض)

لا بد من الإشارة إلى أن السيدة نفيسة هي بنت الحسن بن زيد ابن الإمام الحسن (ع) ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)؛ وكانت قد رحلت إلى مصر مع زوجها إسحاق ابن الإمام جعفر الصادق (ع) سنة ١٩٣هـ، ونزلا بالمصوصة في دار سيدة مصرية تدعى أم هانئ.

وكان لقدومها إلى مصر أمر عظيم، حيث استقبلها الرجال والنساء بالهوادج، وازدحم الناس عند بابها يستمعون إليها ويطلبون منها الدعاء..

ولما أحسّت بدنو أجلها كتبت إلى زوجها إسحاق كتاباً وحفرت قبرها بيدها في بيتها، وكانت تنزل فيه وتصلي كثيرآن وعندما توفيت أراد زوجها أن يحملها إلى المدينة المنورة لكي يدفنها بالبقيع، فاجتمع أهل مصر إلى الوالي عبد الله بن السري ابن الحكم واستجاروا به عند زوجها ليرده عما أراد فأبى، لكنه نزل عند رغبتهم بعدما رأى في المنام رسول الله (ص) يأمره بذلك، ودفنت السيدة نفيسة بدارها بدرب السباع بين القطائع والعسكر التي عرفت فيما بعد بكرم الجارحي.

## وصف الضريح

جاء في خطط المقريزي: "أن أول من بنى على قبرها هو عبيد الله بن السري ابن الحكم والي مصر من قبل الأمويين، ثم أعيد بناء الضريح في عهد الدولة الفاطمية، في عهد المستنصر بالله الفاطمي، خامس الخلفاء، وقام سنة ٤٨٢هـ (١٠٨٩م) بتجديد المقام وتشييد بنائه، وإعلاء أركانه..".

وتم تجديد المقام في سنة ٥٣٢هـ (١١٢٧م) في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله بعد أن تصدعت القبة، كما كسي المحراب بالرخام.

وقد بقي من عمارة الخليفة الحافظ لدين الله بمتحف الفن الإسلامي محراب خشبي متنقل فيه زخارف دقيقة وكتابات كوفية غاية في الدقة.

ثم ولى النظارة الخلفاء العباسيون الذين هم من سلالة الخلفاء العباسيين الذين هاجروا إلى مصر سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) بعد أن قضى المغول على الدولة العباسية في العراق.

وفي أيام المماليك، جدد الملك الناصر محمد ابن قلاوون القبة، وأنشأ المسجد بجوارها، وذلك في سنة ٧١٤هـ (١٣١٤م).

### وصف الرحالة المغربية خالد البلوى للمقام

في سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٦م) زار الرحالة المغربي خالد البلوى مشـــهد الســـيدة نفيسة في مصر، فوصفه وصفاً دقيقاً، ومما جاء فيه: "شـــاهدت المشـــهد العظيـم، مشهد السيدة نفيس (رض)، فرأيت مسجداً عظيماً غاية في الحسن، فيه من الذهـــب وأنواع النحاس ما لا يحصيه العد ولا يجمعه، وفي جدار قبلة المسجد بـــــاب بديـــع يؤدي إلى قبة عجيبة تتوقد ذهباً وتتلألأ جمالاً، وتحت القبة الضريح المبارك، وحوله الرخام البديع المجزع الغريب الترصيع، وثريات الفضـــة والذهـــب وقنـــاديل التـــبر الخالص والإبريز".

### الاهتمام الدائم بالمشهد النفيسي

في سنة ١١٧٠هـ (١٧٥٦م) أقام والي مصر علي باشا بوابة علـــى الســـاحة أمام المسجد، هي باقية إلى الآن وسط الميدان، ونقش عليـــها أبياتـــاً مـــن الشـــعر تضمنت ما قاله من بركات السيدة نفيسة.

وفي سنة ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) جدّد الأمير عبد الرحمن كتخدا المسجد والمشهد تجديداً شاملاً، فبنى الضريح على هذه الهيئة الموجودة الآن، وجعل لزيارة النســـاؤ طريقاً بخلاف طريق الرجال.

وفي سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) تعرّض المسجد لحريق أتلف نصفه الشــــرقي، فأعاد بناء الضريح والمسجد خديوي مصر عباس حلمي الثـــاني ســـنة ١٣١٣هـــ (١٨٩٦م).

وفي العصر الحديث، قامت وزارة الأوقاف بتجديده، وراعت في ذلك أصول فـــن العمارة الإسلامية.

هذا غيض من فيض مشهد السيدة نفيسة التي أجمع المؤرخون على تشـــريفها أرض مصر ودفنها في المشهد الذي يرقد فيه جسمها الطاهر منذ حوالي ١٢ قرنـــاً من الزمان.

### مسجد السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق (ع)

أينما حلّ أحد من ذرية آل النبي (ص) حتى يرتفع له مقام، يؤمـــه المؤمنـــون والزائرون من أقطار الأرض، فها هو مسجد السيدة عائشة (النبوية) أيضاً، معلم من معالم أهل البيت (ع) في مصر.

أجمع المؤرخون أن السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق (ع) زارت مصـــر، والغالبية منهم قالت إنها توفيت سنة ١٤٥هـ، ودفنت في جنوبـــي القـــاهرة (بـــاب

القدامة) وقد جاء في كتاب "تحفة الأحباب" للسخاوي، أنه رأى قبر السيدة عائشة وقد ثبت عليه لوح رخامي مكتوب عليه: "هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، توفيت سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة". وظل قبر السيدة عائشة النبوية حتى القرن السادس الهجري مزاراً بسيطاً يتكوّن من حجرة مربعة يعلوها قبة ترتكز على صفين من المقرنصات.

وفي العصر الأيوبي، أحاط صلاح الدين عواصم مصر الإسلامية الأربع، الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة بسور واحد طوله ١٥ كلم تقريباً، حتى يحصن البلاد ضد هجمات الصليبيين، ففصل هذا السور مقام السيدة عائشة عن باقي القرافة، وهنا رأى صلاح الدين أن يقيم بجانب المقام مدرسة، كما أنه فتح في السور باباً سماه "باب عائشة" وهو المعروف الآن باب القرافة..

ومع مرور الأيام، تهدّم مسجد السيدة عائشة، فأعاد بناءه الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٧٦هـ (١٧٦٢م)، وكان المحراب لا يتوسط جدار القبلة، وإنما يقع في الركن الجنوبي الشرقي. ويوجد بالواجهة الغربية للمسجد بابان بينهما المئذنة التي لم يبق منها سوى الدورة الأولى، وقد كتب على الباب البحري ما نصه:

كسجد أسه التقى فثراه كبدور تهدى بها الأبرار
وعباد الرحمن قد أرخوه تتلألأ بحبه الأنوار

وهذا الباب جرى تعميره في عهد عثمان آغا مستحفظان سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م).

وكتب على الباب الآخر:

بمقام عائشة المقاصد أرخت سل بنت جعفر الوجيه الصادق

### البناء الجديد للمسجد

لم يبق من مسجد السيدة عائشة القديم شيء، فبعدما كان آيلاً للسقوط بسبب حوادث السيارات التي كانت تصطدم به، استقر الرأي على هدم المسجد القديم وبناء آخر جديد، وتم ذلك، وأضحت مساحته ١٥٠٠م$^2$.

واستفاد المهندسون من ارتفاع أرض المسجد عن المنطقة المحيطة به، فجعلوا الميضأة تحت أرض المسجد.

وبما أنه لم يكن ممكناً استخدام أحجار المسجد القديم لاهترائها، فقد جيء بحجارة مسجد أولاد عنان الأثري، ورخامه وشبابيكه ومئذنته، وهذا المسجد مملوكي الطراز، ويعتبر تحفة من تحف طراز العمارة في العصر المتأخر، فالمئذنة مملوءة

بالكتابات، وكذلك القبة، أما عتبات الأبواب والشبابيك والأعمدة فمن الرخام النـــادر، بالإضافة إلى المنبر الأثري، لكن المهندسين وقعوا في خطأ أثري، فالمشهد الجديـد، أو تصميم القبة الجديد أغفل شيئاً مهماً، فحين هدم المشهد القديم، هدم ركـن مـهم فيه، وهو ما يميز مشاهد آل البيت (ع) في مصر وفي غير مصر، وهذا الركن الـذي كان يميّز المشهد، كان مقصوداً به إضفاء الجلال والهيبة على أن المدفونة به من آل البيت (ع)، فالمهندسون لم يلتفتوا إلى ذلك.

نترك واحات النبوة في مصر، وفي القلب حنين للعودة مجدداً، فقد شـــع أهـل البيت (ع) نوراً وضياء.. وأينما حلّوا، كانوا موضعاً للتعظيـــم والتشـريف.. فـهم ساكنون في القلوب والضمائر.. قاطنون في الأسرار والخواطر.

وسواء سحت الروايات بقدومهم إلى مصر أو لم تصح، فما ذلك إلا تأكيد مكانـة أهل البيت (ع) في نفوس المصريين وغير المصريين الذيـن مـا زالـوا يتـبركون ويستضيئون بأنوارهم الزكية.